

التبيان في تفسير القرآن

(478) فقال: ندسنا. وانما النادس رجل من قوم جرير. وقوله: " واحباؤه " جمع حبيب، فقال ا لله لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) قل لهؤلاء المفترين على ربهم: " فلم يعذبكم بذنوبكم " فلاي شئ يعذبكم بذنوبكم إن كان الامر على ما زعمتم، فان الاب يشفق على ولده. والحبیب على حبیبه، لايعذبه وهم يقرون بأنهم معذبون، لانهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم وأباحوا الناس ارتكاب فواحشهم. واليهود تقرأ انهم يعذبون أربعين يوما. وهي عدد الايام التي عبدوا فيها العجل. وقوله: " بل انتم بشر " معناه قل لهم: ليس الامر على ما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه، بل انتم بشر ممن خلق من بني آدم ان أحسنتم جوزيتم على إحسانكم مثلهم، وإن أسأتم، جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم. وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه. وقوله: " يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " فانه وان علق العذاب بالمشيئة، فالمراد به المعصية، لانه تعالى لايشاء العقوبة إلا لمن كان عاصيا، فكان ذكرها أوجز وأبلغ، لما في ذلك من رد الامر إلى الله الذي يجازي به على وجه الحكمة. وانما هذا وعيد من الله لهؤلاء اليهود والنصارى المتكلمين على منازل أسلافهم في الجنان عندهم. فقال الله تعالى: لا تغتروا بذلك فانهم نالوا ما نالوا بطاعتي وايثار رضي، لا بالاماني. وقال السدي: معنى " يغفر لمن يشاء " يعني يهدي من يشاء في الدنيا فيغفر له، ويميت من يشاء على كفره، فيعذبه. وقوله تعالى: " والله ملك السموات والارض " معناه انه يملك ذلك وحده لاشريك له يعارضه، فقد وجب اليأس مما قدروا من كل جهة، وأنه لا منجى لهم الا بالعمل بطاعة الله واجتناب معاصيه. وقال أبو علي: ذلك بأنه يملك السموات، والارض وما بينهما على أنه لا ولد له، لان المالك لذلك لاشبه له، ولان المالك لا يملك ولده لخلقه له. وقوله: " واليه المصير " معناه انه يؤل إليه امر العباد في أنه لا يملك ضرهم، _____ (1) - في المطبوعة (يجزيها). (*)